

رسام نساء وحكايات

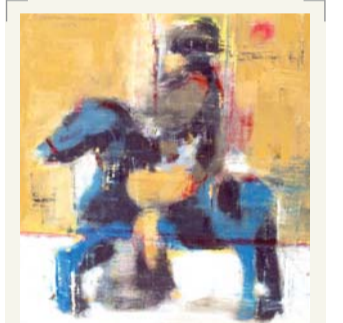
سمير فؤاد

لا يمكن أن يكون إلا مصرياً



غالباً ما تعرضت المحترفات في العالم العربي إلى انقطاعات أسلوبية وفكرية بسبب التأثر بتحويلات الحدائق الفنية وما بعدها في العالم. المحترف الفني المصري وحده ظل محتفظاً بتناسكه من جهة عدم تعرضه لأي نوع من القطيعة إلا على مستويات فردية قليلة.

بالنسبة إلي على الأقل فإنه يمكنني التعرف على اللوحة المصرية بيسر ومن النظرة الأولى. لا لأن الرسامين المصريين يقلد بعضهم البعض الآخر، بل لأن الروح المصرية قوية إلى درجة أنها تقاوم الأساليب الشخصية لتشكل نسقا قائما بذاته وهي تظهر في أعمال الفنانين الحقيقيين من غير أن يسعوا إليها. سميرو فؤاد رسام من النوع المتبع بمصريته.



الوفا لمن لم يرهه

لقد تلقى فؤاد الدرس الفني بطريقة عاطفية، وهو إذ يرسم فإنه يتذكر ما تعلمه. الرسم هو مصدر إلهامه الجمالي وليس المحيط الخارجي. فهو إذا يرسم من داخل الرسم ولا يغادره إلى الخارج. في هذه الحالة من الصعب عليه أن لا يكون مصرياً.

ولد في مصر الجديدة بالقاهرة عام 1944. تأثر بأخيه الأكبر من جهة ولعه بالرسم والعزف على الكمان. وتلقى دروساً في الرسم قبل نهاية إلى المدرسة. درس في كلية الهندسة، قسم الاتصالات بجامعة القاهرة وتخرج فيها. ما بين عامي 1979 و1982 تلقى دروساً في الرسم في مرسم الفنان حسن سليمان. ثم في معهد كواليدال بإنجلترا.

عام 1971 أقام معرضه الشخصي الأول. يومها التقى بالفنان الرائد راغب عياد الذي ساعده على تطوير موهبته واكتساب مهارات تقنية. منذ عام 1984 وهو يشارك في المعارض الجماعية باعتباره واحداً من أهم رسامي الأصباغ المائية. أقام حوالي عشرين معرضاً شخصياً. ومثل مصر في بينالي الأصباغ المائية الدولي عام 2001. وفي حياته العملية عمل مهندس كومبيوترات، وحين أحيل على التقاعد عام 2001 تفرغ للفن.

لطالما عرف الفنانون تلك المسافة بين حياتهم العملية واحترافهم الرسم. لقد عرفنا رسامين باعتبارهم أطباء ومحامين ومهندسين وقد أثر وجود تلك

الهوية في اللون والتكوين والخطوط وعلاقة المساحات، بعضها بالبعض الآخر.

مصرية فؤاد تتجسد في تأليف الكيان الكلي للوحة وفي مزاج التعامل مع العناصر. يرسم الموسيقين فيليب لي أن أعود إلى لوحات الأخوين والتي عن الموضوع ذاته. ليس هناك من شبيه يذكر. ولكن في التجريبيين نلاحظ أن هناك خصوصية في النظر لا يمكن العثور عليها إلا في لوحات المصريين.

أما نساؤه فهن ينتسفن راحة الزيت الذي لم يجف من على سطوح لوحات محمود سعيد. في أحيان كثيرة يذكر براغب عياد. بهذا المعنى فإن خصوصية فنه إنما تنبع من قوة انتماؤه إلى التجربة المصرية الحديثة. الجميل فيه أنه لا يحتاج إلى أن يلتفت ليتأكد من أنه يسير على الطريق الصحيحة. تربيته الفنية تتحكم بالعلاقة التي يقيمها بين ماضيه وحاضره. وهي تربية مشدودة البن، بعضها إلى البعض الآخر.

الفرق هنا يكمن بين

مدرستين. مدرسة يمثلها فؤاد وهي التي تسعى إلى الحفاظ على قواعد المحترف المصري في خصوصيته بكل ما يعنيه ذلك المصطلح من معانٍ متشعبة، ومدرسة انفتحت على التحولات التي شهدتها الفن العالمي في النصف

الثاني من القرن العشرين وهي مدرسة لا ترى أي أهمية تذكر للهوية القومية في الفن بل تركز على الهوية الشخصية.

نساء وحكايات دائماً. ذلك هو عالم فؤاد في الجزء الأكبر منه. إن حضرت المرأة فإن علينا أن ننظر مجيء الحكاية وإن رأينا تفاصيل حكاية ما فإن المرأة لا بد أن تقف وراءها. وإذا ما كان الرسام قد سعى إلى أن يكون تعبيرياً فإن استعانتته بصور تمثل أشياء تعود إلى الماضي قد أضفت على فنه طابعا يجعله قريباً من الفنون الشعبية المعاصرة.

يرسم نساء ويستدعي حكايات

ذلك هو عالم فؤاد الذي جعله قريباً من الرسامين المصريين الذين كانوا يستلهمون الحياة في الأرياف ويضمون أحلامهم إلى أحلام الفلاحين من أجل أن يصلوا إلى حلم مصري يكون بمثابة مصدر إلهام تستمد منه عناصر الهوية الوطنية في الفن. وما لا يمكن إنكاره أن هذا الفنان قد تأثر عميقاً بمعلمه الأول

حسن سليمان الذي كان يعنى بالبيئة في رسومهم ويراقب تأثيراتها على كائناته.

كان عميقاً في معرفته الفنية وفي الوقت نفسه كان حريصاً على أن يحتفل بجماليات التأثير المحلي. وهو ما تعلمه فؤاد منه وظل متمسكاً به. فالفنان يرسم نساءه وفي الوقت نفسه يستدعي الحكايات من الماضي ليمزج بينهما.

نحن في هذه الحالة نرى ونسمع. هل يُعقل ذلك؟ سيكون الرسام في نزوة بهجته.

ولكن ما لا يمكن تصديقه أن الفنان يرسم من أجل حكاية لا تدرى تفاصيلها غير أن شيئاً ما يقودنا إليها؛ بمعنى أنه ذهب إلى الخلاصات التي لم يحتجها الرسم.

غزل فؤاد بنسائه يخطئ الحكايات التي ترافقهن لأنه يسعى إلى التعبير عن سعادته بهن. يبهجه أن تكون رسومهم

رقبقة مثلهن. "طعم الزمن" هو عنوان أحد معارضه المتأخرة. رسام من نوعه يلتفت إلى الماضي بثقة وحنين. إنه يرى صورته هناك في عالم لم يعد له وجود. غير أنه عالم ساحر سيكون على الرسام أن يستعيد لكي يتعرف على نفسه من جديد. وهي فكرة يفاجئ الرسام نفسه من خلالها. لكي لا يمر الزمن سيعترض الرسم طريقه.

يقف في وجه الزمن في محاولة لاحتوائه. ربما أراد من خلال الرسم أن يمضي إلى حيث يشاء. تلك محاولة فاشلة على المستوى الواقعي غير أنها لا بد أن تحقق أهدافها في الرسم. سيكون للزمن طعمه الخاص، غير أن ذلك الطعم لن يكون مرا.

فؤاد يرسم نساء منهمكات في الدفاع عن جمال أجسادهن من غير أن يمتزج ذلك بأي نوع من الغواية. ليست هناك شهوات مسبقة. ولا يمكن أن تقع تلك



نساؤه ينتسفن رائحة الزيت الذي لم يجف من على سطوح لوحات محمود سعيد، وفي أحيان كثيرة يذكر فؤاد براغب عياد

الشهوات بعد الرسم. فليس الجسد العاري مرسوماً من أجل أن يكون مصدر إلهام إباحي. نساؤه هن عبارة عن لقي خيالية.

لم يعيش فؤاد مرحلة السواد ولم يدرس على أيديهم ولكنه من وجهة نظري واحد من قلة من الرسامين المصريين الذين يحافظون على الشخصية المصرية في الرسم من خلال الإمساك بخيط سري يقود إلى فراديس أولئك الرسامين الكبار.

